١٥١
لواء الحمد
مجلة علمية نصف سنوية تعني بالمعارف الإسلامية
السنة السادسة - العدد الثاني عشر
(صفر- رجب ١٤٤٧)

رسالة في تفسير آية تبليغ الولاية

محمدعلى بن عناية اللّٰه البسطامي (ألّفه سنة ٩٨٩)
تحقيق: عبدالحسين طالعي

الملخص: رسالة موجزة لمحمدعلى بن عناية الله البسطامي من علماء القرن العاشر، يتناول فيها آية الولاية (المائدة: ٦٧)، و يبيّن اهمّيّة وقعة الغدير و إمامة الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام؛ و تنشر الرسالة لأوّل مرّة مع دراسة عن حياة المصنّف.

الكلمات المفتاحيّة: محمدعلى البسطامى؛ الإمامة؛ الغدير؛ آية الولاية (المائدة: ٦٧)؛ الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام؛ علماء القرن العاشر

مقدّمة التحقيق

المصنّف

محمدعليّ بن عناية الله البسطامي، الملقّب ب «بايزيد ثاني»

قالوا عنه

كتب الميرزا عبدالله أفندي: الشيخ أبو محمد و قد يقال أبو يزيد عنايت الله البسطامي الشهير ببايزيد البسطامي الثاني المعاصر للشيخ البهائي في عهد السلطان شاه عباس الماضي الصفوي، قد كان من أكابر علماء ذلك العصر و من أسباط بايزيد البسطامي السقا الصوفي المعروف في زمن مولانا الصادق عليه السلام، و لهذا الشيخ أيضا ميل الى طريقة التصوف.

و له من المؤلفات جياد في اكثر العلوم، و رأيت جلّها بل كلّها؛ منها: رسالة في مسألة القضاء و القدر، و قد ألفها باسم السيد الامير مظفر من أعاظم أهل عصره، و عندنا منها نسخة. و له أيضا رسائل و كتب عديدة، و لما كان اسمه على ما وجدناه في أكثر مؤلفاته التي بخطه بعنوان بايزيد بن عنايت الله البايزيدي البسطامي نحن أوردنا ترجمته في باب الباء الموحدة و ذكرنا فيه مفصل أحواله و تفصيل مصنفاته، فلا تظنن التعدد. (رياض العلماء ج ٤ ص ٣٠١).

المجيزون له

الشيخ حسين بن عبدالصمد (طبقات أعلام الشيعة، قرن ١١، ص ٧٦)

المولى عبدالله التستري الشهيد ببخارا سنة ٩٩٧ (نفس المصدر)

المجازون منه

الشيخ حسين بن حيدر الكركي م ١٠٤١ بإجازة مسطورة في البحار ج ١٠٦ ص ١٦٧ تاريخها ١٠٠٤ (نفس المصدر)

بعض مصنّفاته

١. الانصاف (دنا ج ٣ ص ٢٠٥؛ الذريعة ج ٢ رقم ١٥٨٨)

٢. انوارالهدى في تحرير كلام المرتضى (دنا ج ٣ ص ٢٩٧)

٣. اوقات الصلاة (دنا ج ٣ ص ٣٦٥)

٤. التحفة المرضيّة للحضرة الرضويّة (دنا ج ٣ ص ٤ ص ٣٤٦)

٥. تفسير آية تبليغ الولاية (دنا ج ٤ ص ٧٨٥)

٦. جوابات المسائل الكلاميّة (الذريعة ج ٥ رقم ١١٠٨)

٧. ديوان الشعر (دنا ج ٨ ص ٢٨٨)

٨. روضة العارفين/روضة العابدين (دنا ج ٩ ص ٦٣٩؛ معجم المخطوطات العراقيّة ج ٨ ص ٤٤٤)

٨. القضاء و القدر (دنا ج ١٤ ص ١٠١)

٩. معارج التحقيق (دنا ج ١٦ ص ٥٤٧؛ الذريعة ج ٢١ رقم ٤٥٠٧)

١٠. نجاتيه (دنا ج ١٨ ص ٥٥ و ٧٤) و طبع بتحقيق السيد جلال الدين المحدّث الأرموي سنة ١٣٣٤ شمسى.

١١. النهجة المرضيّة للحضرة الرضويّة (دنا ج ١٨ ص ٤٩٩)

مصادر ترجمته

«دنا» (دست نوشته هاى ايران) ج ١٩ ص ٣٤٤؛ طبقات أعلام الشيعة، قرن ١١، ص ٧٦؛ رياض العلماء ج ٤ ص ٣٠١؛ ويكى فقه، مدخل «**بايزيد بسطامى‌ثانى**»؛

دايرة المعارف بزرگ اسلامى، ج ٣ ص ٢٨٣ مدخل «بايزيد بسطامى ثانى» لمحمد جواد شمس؛ تكملة طبقات اعلام الشيعة، للسيد محمدعلى روضاتى، طبع كتابخانه مجلس، ص ٢٩٦

هذه الرسالة

هذه الرسالة هى الرسالة الأولى من مجموع دوّنها تاج الدين حسين بن صاعد الإصفهاني (م. ١٠٠٠) بخطّ يد المصنّف، تصدر لأوّل مرة. هذا المجموع في المكتبة المركزيّة لجامعة طهران برقم ٢١٤٤، و عرّفها الأستاذ محمد تقي دانش پژوه في فهرس

مخطوطات المكتبة ج ٩ ص ٨٠٤ إلى ٨٣٢؛ كما يصفها العلامة الشيخ آقابزرگ الطهراني في موسوعته الخالدة (الذريعة ج ١٨ ص ٢٤٧) بأنّها «مجموعة نفيسة»؛ و هي ذات ٤٥ رسالة مختصرة أو فائدة علمية. صدر الكتاب مصوّراً باهتمام الدكتور محمدكاظم رحمتي يحمل عنوان «دستور» (طهران: مكتبة مجلس الشورى، ١٣٩٣ شمسى).

والحمد لله أولاً و آخراً و صلى الله على محمد و آله الأطهار، و عجّل الله ظهور خاتمهم و قائمهم، و لا فرّق بيننا و بينهم طرفة عين أبداً.

نصّ الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

يا نور النور و يا مدبّر الأمور! أحمدک على نور كمالک كما لک ينبغي و يليق، و أشكرک على عظيم نوالک شكر الصّاعدين على ذروة التحقيق. إليک يصعد الكلِم الطّيّب و العمل الصالح، و إلى قرب جنابک و فوز جنانک يكدح كلّ كادح.

و أصلّي على نبيّک محمد، صاعد معارج النبوّة و مدارج الكمال، و على عترته و آله أفضل العِتَر و خير آل.

و بعد، لقد كان في سابق الزّمان و سالف الأوان ورد على خاطري الفاتر نبذة من النّكات في آية تبليغ الولاية الّتي فاق على سائر الآيات الفرقانيّة بمزيد البلاغة و الفصاحة، أردتُ عرضها على صاحب الكتاب، طوبى له و حسن مآب.

و هو من خصّه الله تعالى بمكارم الفضائل و مزايا الفواضل، صاحب الصّفات القدسيّة و الملكات الملكيّة، صاعد ذروة المجد و العُلى، قاعد مسند الرّشد و الهدى، المولى الموئل الأولى، الأعلم الأفضل الأتقى، سميّ ثاني السّبطين، تاجاً لمفارق العزّة و الكمال و الرّشاد (...)[1] حسين، لا زالت ميامن أفاديه و إفاضته.

فإن هبّ نسيم القبول، فهو غاية المأمول و نهاية المسئول، والله المستعان و عليه التّكلان.

١. لا يقرأ.

قال الله سبحانه و تعالى: يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَ اللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِين.

ذكر المفسّرون في سبب نزولها رواية عن ابن عباس و جابر بن عبدالله أنّ الله تعالى أمر نبيّه عليه [و آله] السلام أن ينصب عليّاً صلوات الله عليه للنّاس و يخبرهم بولايته فيتخوّف ﷺ أن يقولوا حامى ابن عمّه و إن (...)[1] ذلک على جماعة من أصحابه و يطعنوا في ذلک عليه، فنزلت هذه الآية، فأخذ بيده يوم غدير خُم و قال: من كنتُ مولاه فعليّ مولاه.

و ذكر الإمام فخرالدين الرازي فى تفسيره الكبير، المسمّى بمفاتيح الغيب راوياً عن ابن عبّاس أنّها نزلت في فضل عليّ عليه السلام، و لمّا نزلت هذه الآية أخذ بيده و قال: من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهمّ والِ من والاه و عادِ من عاداه. فلقيه عمر فقال: هنيئاً لک يابن أبي طالب! أصبحت مولاى و مولى كلّ مؤمن و مؤمنة.

هذه عبارتها بعينها.

و أقول:

[١] لا يخفى ما في هذه الآية الكريمة من غاية المبالغة في تبليغ تلک الرسالة المعظّمة الّتي هي من قواعد الدّين و مناط نظام أمور العالَمين، حيث صدر الخطاب أوّلاً بالنّداء جرّها على مقتضى اللازم ممّن كان مأموراً من يقدم التنبيه لتمكين الأمر الوارد عينه في نفس المنادى و يستعدّ لامتثاله توقيراً لشأن الأمر و تعظيماً له.

[٢] ثمّ آثر حرف ياء دون أخواتها من حروف النّداء، إمّا على القول بأنّها لنداء البعيد كما هو رأي أكثر أهل العربيّة فلاراة (...)[2] بُعد المنادى الذي يقتضيه مقام العتاب على تقدير كتمان الرّسالة و عدم تبليغها لطفاً به ﷺ حتّى يستشعر هيبة البُعد، فيتقرّب إليه جلّت عظمته بالتشمّر على ساق الجدّ و المسارعة إلى ما يسدّ باب العتاب من مبادرة

١. لا يقرأ
٢. لا يقرأ

امتثال المأمور به تداركاً لما عسى أن يتوهّم من توانٍ و تفريط في جنب الله جلّ جلاله.

و إمّا على القول بأنّها تكون لهذا القريب أيضاً فليذهب وهمه صلّى الله عليه و آله كلّ مذهب و يتردّد لاحتمالها هذا القريب و البعيد هي الخوف و الرّجاء، بل يغلب حينئذ على نفسه الخوف كما هو شأن ذوى الخطر المخلصين من الأنبياء؛ لأنّه إنّما يخشى الله من عباده العلماء. فتفيد الفايدة الّتي مرّ آنفاً من النداء البعيد؛ فإنّه تذكرة لمن كان له القلب أو ألقى السمع و هو شهيد.

[٣] ثمّ وصفه صلّى الله عليه و آله بالرّسالة و خاطبه بها، فقال: يا أيّها الرّسول؛ (...)[١] بعلّيتها للتبليغ، يعنى أنّک رسول الله و شأنک التّبليغ، فلا عذر لک في أن تترک تبليغ ما أرسل إليک أو تؤخّره. و أتى بصيغة التّفعيل أعني بلّغ، للدّلالة على المبالغة في التّبليغ.

[٤]و عرّف المُنزَل إليه بالموصولية فقال: ما أنزل إليک، تفخيماً و تعظيماً لشأنه. و قيّد المنزل إليه بأنّه من ربّه، تهويلاً له عليه السلام لئلّا يقصر في ادائه و لا يتساهل.

[٥] ثمّ أضاف الرّبّ إليه عليه السلام، استعطافاً و تذكيراً لنعمة تربية الله عزّوجلّ له عليه السلام ليتبادر إلى امتثال أمره تعالى شكراً لتلک النّعمة و مكافاة لها.

[٦] ثمّ عقّب ذلک الأمر البليغ بالتّهديد البيّن الصّريح، حيث قال جلّ كبرياؤه: و إن لم تفعل فما بلّغت رسالته، إعلاناً بأنّ تلک الرّسالة من غاية العظمة و الجلالة معادلة لكافّة الرّسالات؛ إذ لو لم يبلّغها كان كما لم يبلّغ شيئاً من الرّسالات. و لا يذهب عليک ما في هذه الشّرطيّة من كمال المبالغة و شدّة إرادة الله تعالى لهذا التّبليغ البليغ.

و لو تصفّحت القرآن كلّه لم تجد مثل هذه المبالغة عن الله جلّ جلاله لنبيّه صلّى الله عليه و آله في تبليغ واحدٍ من الأوامر الضّروريّة كالصّلوة و الزّكاة و الحجّ و ما يضاهيها من الطّاعات و القربات. و ليس هذا التّشديد إلّا لأمرٍ ما، يعرفه من امتحن الله قلبه للإيمان و نوّر بصيرته بنور الإيقان.

[٧] ثمّ رغّبه سبحانه في أداء تلک الرسالة و حثّه عليه بأن تكفّل عصمته و آمنه عليه

١. لا يقرأ

[و آله] السلام من الخوف الّذي كان يعتريه من حسد المنافقين و غيظ الكائدين، حتّى لا يخاف لومة لائم منهم و لا يتقاعد عمّا أمر به من هذا التبّليغ مخافة صدّهم و عداوتهم، فقال: والله يعصمک من النّاس، معبّراً عن نفسه باسم الجلالة، الدّالّة على استجماع جميع صفات الكمال الّتي منها عصمة نبيّه عن أعاديه.

[٨] ثمّ أكّد في تعجيل ذلک التبّليغ بأن قطع أمله ﷺ عن أن يترقّب ذنباً يتلقّى كلّ الأمّة عنه ذلک القول بالقبول و يسلّموه طاعة و رغبة و يصيروا مهتدين بإهدائه تعالى أنّ الله لا يهدى القوم الكافرين. مؤكّداً بإنّ التّحقيقيّة و الجملة الإسميّة؛ يعنى: لا تنتظر ذلک الوقت، طمعاً في هدايتهم؛ و بادِر إلى تبليغ ما أمرت به، فمن شاء فليؤمن و من شاء فليكفر.

والحمد لله الذي هدانا لهذا و ما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

و أنا فقير عفو ربّه الوليّ ابن عناية الله محمدعلي، تجاوز الله عن زلّاتهما بمحمّد و عليّ. و المأمول من مخدومنا دام ظلّه العالي عدم النّسيان في بعض الخلوات و مظانّ إجابة الدّعوات. والحمد لله عوداً على بدء.

و كان رسم هذه الورَيقات في ١٢ شهر جمادى الثانية سنة ٩٨٩ ببلدة تبريز، صينت عن الآفات بحقّ سيّد الكائنات ﷺ.